القناعة

تأليف

د / على راشد

رسوم

ماهر عبد القادر

التجهيزات الفنية

شركة لمحة آرت

جميع الحقوق محفوظة

برقم إيداع: 2010/20640

المجد للنشر والتوزيع: 0106372799

القناعة كنز لا يفنى

عندما اجتمع الأستاذ مع تلميذه وتلميذته يومًا، قال التلميذ: أستاذي الكبير.. توجد لوحة في فناء مدرستنا مكتوبٌ عليها: "القناعة كنزٌ لا يفنى". وأنا لا أفهم معنى هذه العبارة.

أجاب الأستاذ: القناعة يا بُنيَّ هي الرضا بما قسمه الله لك من رزق، حتى ولو كان قليلاً. وعدم التطلع إلى ما في يد الآخرين من نعم وأموال ومُمتلكات.

قالت التلميذة: ولكنني يا أستاذي أحبُ أن أمتلك أشياء كثيرة، ومالاً كثيرًا، وملابس جميلة، وأحذية مُدهشة، ولعباً مُثيرة. فكيف لي أن أقنع بالقليل. وأين هو هذا الكنز؟

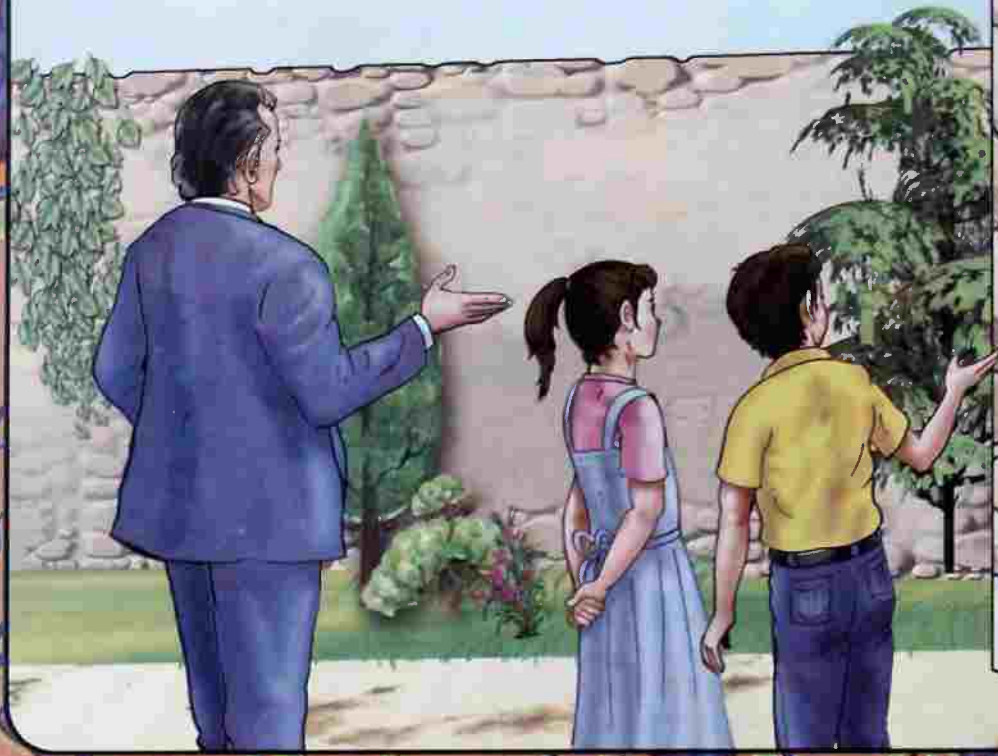

رد الأستاذ: الكنز يا بنيتي يكمن في سعادة النفس وهدوء البال، والشعور بالأمن والسكينة ورضا رب العالمين. وهذا ما حدث لأم ريحانة.

تساءل التلميذ: ومن هي أم ريحانة هذه؟

قال الأستاذ: أم ريحانة هذه يا بني، أرملة مات زوجها وتركها تعيش بمفردها مع ابنتها الوحيدة في كوخ بسيط في منطقة بعيدة عن البلدة، ورغم بساطة حياة الأم وابنتها، وقلة الطعام والملبس، إلا أنهما كانتا تحمدان ربهما على ما هما فيه من نعم لا تعد ولا تحصى.

وفي أحد الأيام اقترب من كوخ أم ريحانة أمير البلد على فرسه وبصحبته مجموعة من أصدقائه، وكانوا في رحلة صيد طويلة وفرغ ما معهم من ماء، وبلغ العطش منهم مداه، فإذا بجوار الكوخ وتحت شجرة كبيرة إناء فخاري كبير مملوء بالماء، فاستأذن الأمير من صاحبة الكوخ - دون أن تعرفه - أن يشرب هو وصحبه من الماء، فأذنت له.

وَعِنْدَمَا شَرِبَ الأَمِيرُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ الْعَذْبِ الْبَارِدِ وَارْتَوَى هُوَ وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ لَهُمُ الأَمِيرُ: هَذَا أَعْذَبُ مَاءٍ شَرِبْتُهُ فِي حَيَاتِي، وَكَأَنَّهُ مِنْ مَاءِ أَحَدِ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ. وَأَخْرَجَ الأَمِيرُ صُرَّةً مِنَ النُّقُودِ الذَّهَبِيَّةِ وَأَلْقَاهَا قَرِيبًا مِنْ بَابِ كُوخِ أُمِّ رَيْحَانَةَ .. وَقَالَ: الَّذِي يُحِبُّنِي يَفْعَلُ مَا فَعَلْتُ. فَإِذَا بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الأَمِيرِ يُخْرِجُ صُرَّةً مِنَ النُّقُودِ الذَّهَبِيَّةِ وَيُلْقِيهَا نَاحِيَةَ بَابِ الْكُوخِ. وَرَحَلَ الأَمِيرُ وَصَحْبُهُ بَعْدَ أَنْ قَدَّمُوا الشُّكْرَ لأُمِّ رَيْحَانَةَ.

وخرجت أم ريحانة وابنتها تجمعان هذا القدر الكبير من النقود الذهبية. والفتاة ريحانة تضحك فرحة من هذا العطاء. وعندما استدارت ناحية أمها وجدتها تبكي. فقالت ريحانة لأمها في دهشة: لماذا تبكين يا أماه. ونحن بهذه الأموال أصبحنا من الأثرياء؟

أجابت الأم: يا ريحانة عندما نظر إلينا عبد من عباد الله أعطانا كل هذا المال. فما بالك لو نظر إلينا رب العالمين.

قَالَتِ التِّلْمِيذَةُ: حِكَايَةٌ جَمِيلَةٌ نَأْخُذُ مِنْهَا الْعِبْرَةَ فِي أَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَكْتَسِبَ قِيمَةَ الْقَنَاعَةِ ..

تَسَاءَلَ التِّلْمِيذُ: أُسْتَاذِي الْقَدِيرَ .. مَا عَكْسُ قِيمَةِ الْقَنَاعَةِ؟

رَدَّ الْأُسْتَاذُ: الطَّمَعُ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.. فَالشَّخْصُ الَّذِي أُصِيبَ بِهَذِهِ الرَّذِيلَةِ لَا يَكْتَفِي أَبَدًا مَهْمَا كَانَ يَمْتَلِكُ، فَإِذَا كَانَ لَدَيْهِ جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ لَتَمَنَّى جَبَلَيْنِ، فَإِيَّاكُمْ يَا أَبْنَائِي مِنْ آفَةِ الطَّمَعِ وَإِلَّا سَيَحْدُثُ لَكُمْ مَا حَدَثَ لِلْمَدْعُو "نَاصِح".

قَالَتِ التِّلْمِيذَةُ: وَمَنْ هُوَ "نَاصِح" هَذَا؟ وَمَا هِيَ حِكَايَتُهُ مَعَ الطَّمَعِ؟

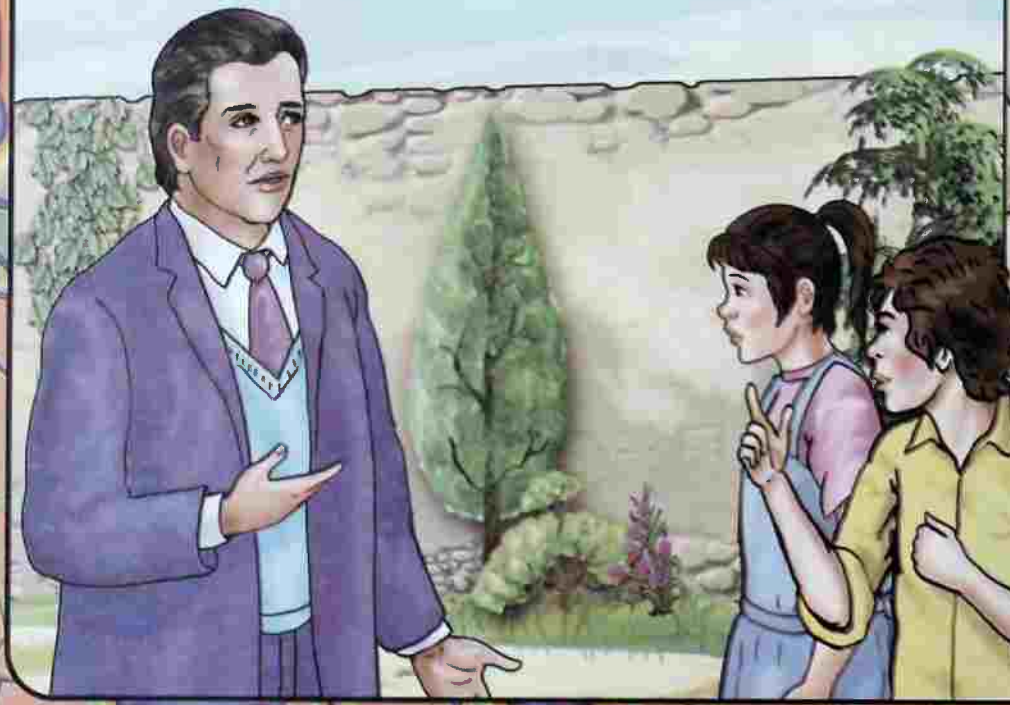

أجاب الأستاذ: "ناصح" هذا كان مُزارعًا، وعِنْدَهُ حديقةٌ كبيرةٌ فيها كُلُّ أنواعِ الفاكهةِ والخضارِ والزُّهورِ بديعةِ الألوانِ، وذاتِ روائحَ عطرةٍ. وكانَ بجوارِ حديقةِ (ناصح) حديقةٌ لجارٍ لهُ لا يفصلُهما سوى قطعةٍ منَ الحجارةِ طولُها أكثرُ منْ مترَيْنِ وعرضُها نصفُ المترِ. وفي أحدِ الأيامِ بينَما كانَ (ناصحٌ) يسيرُ في حديقتِه خطرَ على بالِه أنَّهُ لوْ يستطيعُ أنْ يُحرِّكَ هذا الحجرَ الثَّقيلَ لبضعةِ أمتارٍ داخلَ حديقةِ الجارِ، لزادتْ مساحةُ حديقتِه وامتلكَ أشجارًا أكثرَ، وأرضًا أوسعَ.

وبالفعل أخذ في إحدى الليالي ساقًا طويلةً من الحديد، واتَّجه ناحيةَ هذا الحجر الثقيل، وأخذ يبذلُ كلَّ جهدِه حتَّى تحرَّكَ الحجرُ بالفعل بضعةَ أمتارٍ، وعادَ "ناصحٌ" إلى بيتِه وهُوَ لا يُصدِّقُ نفسَه، وأنَّ حُلمَهُ تحقَّقَ.

وَفي صَباحِ الْيَومِ التَّالي ذَهَبَ إِلى حَديقَتِه فَشاهَدَ تِلْكَ الزِّيادَةَ الْواضِحَةَ لِأَرْضِ هَذِهِ الْحَديقَةِ. وَأَخَذَ يَتَفَحَّصُ الأَشْجارَ الَّتي امْتَلَكَها، وَمِنْها شَجَرَةُ تُفّاحٍ رائِعَةٌ فَابْتَسَمَ "ناصِحٌ" في خُبْثٍ وَقالَ لِنَفْسِه: لَقَدْ قُمْتُ بِعَمَلٍ رائِعٍ، وَسَتَكُونُ مُكافَأَتُكَ تِلْكَ التُّفّاحَةَ الْحَمْراءَ الْجَميلَةَ الَّتي أَعْلى شَجَرَةِ التُّفّاحِ.

وبالفعل أحضر "ناصح" سلمًا خشبيًا، وصعد عليه وحاول الإمساك بالتفاحة الحمراء، إلا أنه فقد توازنه فوقع من أعلى السلم الخشبي على الأرض، وارتطم رأسه بالحجر. فانفجرت منه الدماء وتألم كثيرًا وغاب عن الوعي. وعندما حملوه إلى طبيب القرية لعمل الإسعافات اللازمة. قال الطبيب: لولا وجود هذا الحجر اللعين في مكانه هذا، ما كانت هذه الإصابة الخطيرة. فبكى "ناصح" عند سماعه هذه المقولة. وعرف أنه انتقام الله عز وجل من فعلته.

وَرَفَعَ الأُسْتَاذُ يَدَيْهِ يَدْعُو رَبَّهُ قَائِلاً : اللَّهُمَّ أَرْضِنَا مِنَ الْعَيْشِ بِمَا قَسَمْتَهُ لَنَا.. آمِينَ.. آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.